

علم المناسبات وعلاقته بالفاصلة القرآنية

الباحث

حمادة محمد سقاو علي

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علي عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، بعثه ربه رحمة للعالمين، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.

وبعد

فإن القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة، وآيته الباهرة، وإعجازه وجوه متعددة أهمها إعجازه البياني الذي ينتظم في القرآن كله، حيث يوجد في كل سورة وآياته، يبدو ذلك واضحا إذا تدبرنا التناسب البديع بين الفاصلة وآياتها، وأثر ذلك على معنى وتفسير الآية فالفاصلة القرآنية مرتبطة ارتباطا وثيقا بما قبلها في الآية، وهي مستقرة في موقعها، غير قلقة ولا نافرة، ولو استبدلتها بغيرها لاختل المعنى المراد، وفسد النظم المساق، قال الله - تعالى - : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (1).

والعلماء قديما وحديثا لم يألوا جهدا في هذا الجانب، فقد استفرغوا طاقاتهم، وبذلوا جهودهم، وأفنوا أعمارهم في خدمة كتاب الله - تعالى - وبيان مدى بلاغته وفصاحته التي أعجزت الثقيلين، فلم يستطيعوا - رغم وفرة أسلحة البلاغة والبيان لديهم - محاكاته، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (2) ومن هؤلاء العلماء الأفاضل عالم تونسي جليل، شهد

(1) سورة هود، الآية (1)

(2) سورة الإسراء، الآية (88)

له علماء عصره بشتي المناقب والمآثر، هو الإمام الطاهر ابن عاشور، صاحب التفسير المشهور (التحرير والتنوير) وقد اهتم جمع من الباحثين بهذا التفسير من جوانب متعددة، وقد كان علم الفاصلة القرآنية أحد هذه الجوانب المهمة في هذا التفسير، واستكمالاً لجهود السابقين من الباحثين المخلصين في إظهار جوانب القرآن الكريم البلاغية، ولمساته البيانية، فقد وقع اختياري على موضوع الفاصلة القرآنية وأثرها على المعنى في تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور (دراسة تطبيقية على سور الأنبياء والحج والمؤمنون) أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن وهي محاولة مني لكشف مدى ارتباط الفاصلة بآيتها .

علم المناسبات، وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحاً.

تجدر الإشارة هنا إلى علم المناسبات إشارة تعين على المراد، وذلك لتعلق المناسبات بالفواصل، لأن الفاصلة جزء من المناسبات، وأبدأ بتعريفه لغة واصطلاحاً:

المناسبات لغة: جمع مناسبة، والمناسبة في اللغة المشاكلة، وهي من الفعل نسب، يقال: نسبه ينسبه بكسر السين وضمها نسبا ونسبة بالكسر، أي ذكر نسبه وسأله أن ينتسب، وناسبه: شركه في نسبه، والنسيب: المناسب وذو النسب⁽³⁾ وجاء في الصحاح: "فلان يناسب فلانا فهو نسيبه أي قريبه"⁽⁴⁾.

3 () انظر: لسان العرب، باب النون، فصل النون(1/755)، وانظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، بيروت، ط 8 ، 1426هـ - 2005م)، فصل النون، (1/137)

4 () انظر: الصحاح تاج اللغة، مادة (نسب) أبو نصر إسماعيل الجوهري الفارابي ت 393 هـ، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين - بيروت، ط 4 - 1987/1407، (1/224)

وفي مقاييس اللغة "نسب"، النون والسين والباء كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به، تقول نسبت أنسب، وهو نسيب فلان..."(5).

ومن خلال هذا العرض اللغوي يتضح أن مادة نسب تدور حول المشاكلة، والاتصال والمقاربة بين شيئين.

والمناسبة في الاصطلاح: عرفها الإمام البقاعي⁽⁶⁾: "بأنه علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن"⁽⁷⁾.

وجاء في البرهان: "أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"⁽⁸⁾.

إذن المناسبة "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعالى تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني ارتباط الآية بما قبلها وما بعدها"⁽⁹⁾.

ويبدو توافق المعنى اللغوي للمعنى الاصطلاحي للمناسبة، فكلاهما يعني: أن الآية وجارتها شقيقتان، يربط بينهما رباط من نوع ما، كما يربط النسب بين المنتاسين،

(3) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، (1399هـ / 1979م) (دط)، مادة (نسب)، (423/5)

(4) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر برهان الدين الخرباوي البقاعي، نزيل القاهرة ثم دمشق، ولد 809هـ، بقرية خربة روحا من عمل البقاع، له مصنفات منها: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) في التفسير، لم يسبقه إليه أحد، جمع فيه من أسرار القرآن العظيم ما تتحير فيه العقول، 885هـ. ينظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدعوي، 347/1، ونظم العقبان في أعيان الأعيان، السيوطي، تحقيق: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، (دط) (دت) 24/1

(7) انظر: مساعد النظر: للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، (1408هـ - 1987م)، (145/1)

(6) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، 794هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376/

1957، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، 35/1

(9) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ط1، (1426/ 2005)، ص (58)

غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيتان أو الآيات متماثلة كل التماثل، بل ربما يكون بينها تضاد، أو تباعد في المعنى، المهم أن هناك صلة، أو رابطاً ما يربط بين الآيتين، أو يقارب بينهما سواء توصل إليها العلماء أم لا، فقد تظهر أحياناً، وتختفي أحياناً أخرى، وفي هذا مجال لتسابق الأفهام .

المطلب الثاني: موضوعه.

قال البقاعي: "وعلم المناسبات موضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسباته من حيث الصلوات" (10).

وفي مصابيح الدرر: "موضوع علم المناسبة هو آيات القرآن الكريم وسوره من حيث اتصالها وتلاحمها بما يظهر أجزاء الكلام متصلة آخذاً بعضها بأعناق بعض، مما يقوى بإدراكه إدراك الارتباط العام بين أجزاء الكتاب الكريم، ويصير حال التأليف الإلهي كحال البناء المحكم المتناسق الأجزاء" (11).

ومعنى ذلك أن موضوع علم المناسبات هو السور والآيات والكلمات القرآنية، من حيث اتصالها وتلاحمها، ليظهر القرآن كله وحدة موضوعية واحدة.

المطلب الثالث: فائدته.

قال الإمام الزركشي: "واعلم أن المناسبة علم شريف، تخزر (12) بما العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول ... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء" (13).

10 () انظر: مصاعد النظر (142/1)

11 () انظر: مصابيح الدرر في تناسب الآيات والسور، عادل بن محمد أبو العلاء، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط العدد 129 - 37 / 1425 هـ (18/1)

12 () الحزر: التقدير. انظر: الصحاح تاج اللغة، 629/2، باب (حزر)

13 () انظر: البرهان، الزركشي (36 / 1)

قال السيوطي: "من وجوه إعجاز القرآن الكريم مناسبة آياته وسوره، وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة"⁽¹⁴⁾ المعاني منتظمة⁽¹⁵⁾ المباني"⁽¹⁶⁾.

ففائدة علم المناسبات-إذن- الربط بين السور والآيات، بوجوه الربط المختلفة، حتى تكون كالكلمة الواحدة، منتظمة المعني، رصينة المبني.
المطلب الرابع: أسس⁽¹⁷⁾ معرفته.

قال السيوطي: "قال بعض المتأخرين"⁽¹⁸⁾. الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سبقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي المهيم على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة"⁽¹⁹⁾.

14 () اتسق أمره، أي انتظم، تعبير مجازي، انظر: تاج العروس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، ت 1205 هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (دط)، (دت)، (472/26)

15 () انتظم الكلام: أي انسجم، وهو مجاز، انظر: تاج العروس، (349/32)

16 () انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1408هـ/1988م) (43/1)

17 () أسس: الأس، أصل البناء، وكذلك الأساس، والأسس مقصور منه، وجمع الأس إساس، مثل عس وعساس، وجمع الأساس أسس مثل قذال وقذال، وجمع الأسس أساس، مثل: سبب وأسباب، وقد أسست البناء تأسيساً. انظر: الصحاح تاج اللغة 903/3

18 () محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن يحيى بن أحمد بن سليمان بن مهيب الصدقاوي الزواوي الأصل ثم البجائي المالكي نزيل مكة، كان ذا إلمام بال تفسير ت 582 هـ. انظر: الضوء اللامع في أعلام القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير السخاوي ت 902 هـ، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت (دط) (دت)، (149/1)

19 () انظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت 911 هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1394هـ/1974م)، (376/3)

قال البقاعي: "والذي يعين على ذلك كله هو معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، فلا يمكن معرفة المناسبات في السورة إلا من خلال معرفة مقصودها"⁽²⁰⁾. ومقصود الإمام البقاعي أن معرفة مقصود السورة، وغرضها الذي سيقت آياتها من أجله، هو الذي يحدد لك وجوه الربط بين آياتها.

المطلب الخامس: أهميته.

نبه إلى أهمية علم المناسبة عدد من العلماء من أبرزهم الفخر الرازي حيث قال: « أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط »⁽²¹⁾. قال أبو بكر بن العربي⁽²²⁾: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل فيه

20 () انظر: مصاعد النظر، (143/1)

21 () تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، ت606 هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420، 110/10

سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق فيه بأوصاف البطلة⁽²³⁾ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه"⁽²⁴⁾.

وقال البقاعي في نظم الدرر: «وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجازة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو»⁽²⁵⁾.

وقال السيوطي في معترك الأقران: «علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته»⁽²⁶⁾.

وقال العز بن عبدالسلام: «الْمُنَاسِبَةُ عِلْمٌ حَسَنٌ...»⁽²⁷⁾.
ومن خلال أقوال هؤلاء الأعلام يتبين لنا أن علم المناسبة من أشرف العلوم وأجلها لتعلقه بكتاب الله - تعالى -، وهو علم جليل القدر.

22 () محمد بن عبدالله بن أحمد، أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ، أحد الأعلام، ولد 468 هـ، ورحل إلي الشام ومصر والعراق، وكان من أهل التفنن في العلوم، صنف التفسير وأحكام القرآن، وشرح الموطأ، ت 543 هـ. انظر: طبقات المفسرين، للسيوطي ت 911 هـ، مكتبة وهبة، ط1، 1396، ص 105

23 () البطلة جمع باطل، والباطل ضد الحق، ومعناه لا يقدر الكسلان أن يتعلم هذا العلم لصعوبته، انظر: المفاتيح في شرح المصاييح، الحسين بن محمود بن الحسن الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهري، ت727 هـ تحقيق: لجنة من المحققين، دار النوادر، الكويت ط1، (1433هـ / 2012م)، (172/3)

24 () انظر: البرهان، للزركشي (36/1)

25 () انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ت885 هـ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (5/1).

26 () انظر: معترك الأقران (43/1)

27 () انظر: البرهان (37/1)

المطلب السادس: نشأته.

يبدو لنا من خلال تتبع أقوال أهل العلم في هذا الشأن أن أبا بكر النيسابوري⁽²⁸⁾ هو أول من تكلم في هذا العلم في بغداد تحديداً، قال الزركشي في البرهان: "...أول من أظهر علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره، هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لَمْ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه، وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة، وكان يزري⁽²⁹⁾. على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"، واعتبره السيوطي أول من سبق إلى هذا العلم"⁽³⁰⁾

وهذه الأولية إنما هي باعتبار شدة العناية والتعليم؛ وإلا فالمتبع لتفسير السلف حتى من الصحابة يجدهم يتحدثون أحياناً عن المناسبات في بعض المواطن وإن كانت قليلة⁽³¹⁾.

فعلم المناسبة عنى به المفسرون قديماً وحديثاً للوقوف على مقاصد السور الكريمة ومعرفة الوحدة الموضوعية لكل منها؛ ووقفوا على كثير من مواضع الربط بين الآيات والسور، والبحث عن سرّ ترتيبها، وأوردوا الكثير من اللطائف التناسبية في هذا المقام.

28 () عبد الله بن محمد بن زياد، أبو بكر النيسابوري، ولد 238 هـ ، قال عنه الذهبي: "الحافظ" وقال الدار قطني: "ما رأيت أحفظ منه" ت 324 هـ . انظر: تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ، يوسف بن حسن الصالحي، جمال الدين بن المبرد الحنبلي ت 909 هـ، تحقيق لجنة من المحققين، دار النوادر، سوريا، ط 1 ، 2011/1432، ص 139

(2) يزري: يزري فلان علي صاحبه أمراً، إذا عابه وعنفه ليرجع. انظر: العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، ت 170 هـ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (دط)، (دت)، 381/7

30 () انظر: البرهان، (36/1)

31 () انظر أسرار ترتيب القرآن، السيوطي . المقدمة . دار الفضيلة للنشر والتوزيع (40)

وهذا العلم له جذور تأصيلية تعود إلى عصر النبي - صلي الله عليه وسلم - أول
المفسرين للقرآن الكريم، وعنه أخذ السلف ثم الصحابة والتابعون .

ففي تفسير ابن كثير⁽³²⁾ عند قوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ
وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾⁽³³⁾، قال ابن كثير رحمه الله: "عن عائشة - رضي الله عنها -
أنها قالت: " يا رسول الله ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾ هو الذي يسرق ويزني
ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: "لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي
ويعصم ويتصدق، وهو يخاف الله عز وجل" ⁽³⁴⁾.

ففي هذا الجواب مراعاة لسياق الكلام ومناسبته لما قبله، وما بعده لأنه وارد في
صفات المؤمنين.

وكان سيدنا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - يقول: "إذا سأل أحدكم
صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا فليسأله عما قبلها" ⁽³⁵⁾.

وفي الحياة الأدبية توجد المناسبات، وكانوا يتفاخرون بها في أشعارهم، جاء في
كتاب الشعر والشعراء، مما له دلالة على التمام النظم في القصيدة العربية حيث يقول:

32 () إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، الحافظ، عماد الدين بن الخطيب شهاب
الدين، وكنيته أبو الفداء، إمام محدث مفت بارع، ولد 700 هـ، من مصنفاته: (التفسير الكبير)

ت 774 هـ، ينظر: طبقات المفسرين، الأدهوي، 1/260-261، وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن
علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، ت 832 هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب
العلمية، بيروت، ط 1، 1990/1410، 471/ 1

33 () سورة المؤمنون الآية (60)

34 () انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت 774 هـ، تحقيق:
سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2 (1420 هـ/1999م)، (480/5)، وانظر: الحديث في مسند الإمام
أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة، ط 1، (1421 هـ/2000م) (156/42)، وقال
الألباني: "قال الحاكم: صحيح الإسناد" ووافقه الذهبي. انظر: السلسلة الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني،
مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، (1415 هـ/1995م) (305/1)

35 () انظر: المعجم الكبير، الطبراني، ت 360 هـ حديث رقم (8693)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن
تيمية القاهرة، ط 2، (دت)، (140/9)، ومصنف عبد الرزاق، ت 211 هـ حديث رقم (5988)، تحقيق: حبيب الرحمن
الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط 2، (1403 هـ)، (364/3).

"وتبين التكلف في الشعر بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره، ومضموما إلى غير لفقته" (36)، ولذلك قال عمر بن لجأ⁽³⁷⁾ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك، قال: وم ذلك؟ فقال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه". (38)

وقد صرح الإمام البقاعي بانتشار علم المناسبات بين الصحابة والتابعين واعتمادهم عليه في فهم القرآن فقال: "وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا، بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون" (39).

وتأتي بعد هذه المرحلة مرحلة أخرى، حيث ظهرت كتب تفسير تعني بإبراز المناسبات في جميع سور القرآن الكريم. ولعل كتاب مفاتيح الغيب للرازي يمثل بداية هذه المرحلة ثم بعده توالى المؤلفات فمن ذلك: كتاب البرهان في ترتيب سور القرآن للغرناطي⁽⁴⁰⁾ وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة السورة فقط، لا يتعرض فيها للآيات .

المطلب السابع: المناسبات بين المانعين والمجيزين.

36 () لفتت الثوب ألقه لفقاً، وهو أن تضم شقة إلى أخرى، واللفق بكسر اللام أحد لفتي المائة، وتوافق القوم أي تلائمت أمورهم، وأحاديث ملفقة، أي أكاذيب مزخرفة. انظر: الصحاح تاج اللغة (4/1550)

37 () عمر بن لجأ، وقيل لجأ، بن جرير بن مصاد التيمي من بني تميم بن عبد مناف من شعراء العصر الأموي، اشتهر بما كان بينه وبين جرير من مفاخرات ومعارضات، ت بالأهواز 105 هـ. انظر: أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود البلاذري، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت ط 1، (1417هـ/1996م)، (11/206) والأعلام (5/590)

38 () انظر: الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت 276 هـ، دار الحديث، القاهرة 1423، (دط) 90/1

39 () انظر: مصاعد النظر: (1/54)

40 () أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن عاصم، الإمام العلامة المقرئ الحافظ البارح عالم الأندلس، وصاحب التصانيف، ولد في (627هـ)، شيخ أبي حيان، وهو آخر المؤرخين والنحاة والمحدثين بالأندلس، ت (708هـ)، انظر: الوافي بالوفيات، (6/104)،

لم تتفق كلمة العلماء حول علم المناسبات، فمنهم من أجازوه، ومنهم من منعه، وسأحاول بعون الله - تعالي - أن أوصل لهذين الرأيين ومن تبناهما، باختصار، مرجحاً ما تدعمه الأدلة وترجحه النصوص.

الفريق الأول: المعارضون لوجود التناسب بين الآيات والسور :

ومن أبرزهم: سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام⁽⁴¹⁾، والإمام المفسر محمد بن علي الشوكاني⁽⁴²⁾.

قال سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام: "واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبه بعضه ببعض، لئلا يكون مقطعا منبترا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث، فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه ببعضه ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب .. ثم أخذ يضرب أمثلة لذلك"⁽⁴³⁾

41) عبد العزيز عبد السلام الدمشقي، ثم المصري، ولد 577 هـ، شيخ الشافعية، وقدوة الصوفية، له تفسير في مجلد واحد، توفي بمصر، ودفن بالقرافة، 660 هـ. انظر: طبقات المفسرين، الداودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي، ت 945 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، (دت) (315/1)

42) محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، ولي قضائها ومات حاكما بها، وكان يرى تحريم التقليد، له (114) مؤلفا منها: فتح القدير في التفسير. انظر: الأعلام (298/6)، وانظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، بيروت لبنان، ط3، (1409هـ - 1988م)، (593/2)

43) انظر: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع الحجاز، العز بن عبد السلام، ط1، المطبعة العامرة، الأستانة، (1313هـ)، ص (221)

فسلطان العلماء - كما يظهر من كلامه - لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد، وما عدا ذلك فهو يراه أمراً متكلفاً.

أما الإمام محمد بن علي الشوكاني: فقد أنحى باللوم، بل بالتفريع على أئمة التفسير القائلين بالتناسب في الآيات القرآنية، وأطال في الاستدلال لرأيه، قال -رحمه الله-: "اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه، في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية، المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه حتى أفردوا ذلك بالتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف"⁽⁴⁴⁾

ومن خلال كلام الشوكاني يتضح أنه ينكر علي المفسرين اشتغالهم بعلم المناسبات، لأنه تكلف، وكلام بمحض الرأي ويرميهم بأنهم عابثون بعقولهم مضيعون لأوقاتهم .

والحق أن التكلف في المناسبات مرفوض كما قلنا من قبل، لأن فيه مشقة على النفس، والحق أن علم المناسبات ليس تكلفاً، إنما هو إمعان وتدبر في كتاب الله، والتدبر مطلوب للقارئ والمفسر قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽⁴⁵⁾

كما أن علم المناسبات ليس تكلفاً بمحض الرأي المذموم، لأنه منهي عنه، إنما هو مبني على الاجتهاد المستند إلى قواعد العلم، أما إذا كان أساسه الهوى فمردود.

44 () انظر: فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني ت1250 هـ، مطبعة دار الكلم

الطيب - دمشق - بيروت - ط1 - 1414 / 86 (1)

45 () سورة النساء، الآية (82)

قال الشاطبي⁽⁴⁶⁾ عن إعمال الرأي في القرآن: "...فما كان موافقا لكلام العرب والكتاب والسنة، فهذا لا يمكن إهمال مثله لعالم بهما، أما الرأي غير الجاري على موافقة العربية، أو غير الجاري على الأدلة الشرعية فهذا هو الرأي المذموم من غير إشكال"⁽⁴⁷⁾. وكلام الشوكاني عن المشتغلين به بأنهم عابثون مبالغة يأبأها الإنصاف، لأن هذا العلم يعين المفسر على فهم كلام الله من خلال السياق القرآني، ويغوص المفسر من خلاله في بحور من أسرار البيان، في كثير من المناسبات التي تأسر اللب، ويرتضيها العقل. والعجب أن الشوكاني يقول هذا الكلام بينما تجده في تفسيره يربط كثيرا من الآيات ببعض"⁽⁴⁸⁾، مما يجعلنا نسلم بأنه يرفض التكلف في المناسبات ولا يرفض المناسبات نفسها.

الفريق الثاني: المؤيدون لوجود التناسب بين الآيات والسور :
 ويمثل هذا الاتجاه كثيرون من العلماء منهم: الفخر الرازي، والبقاعي، والسيوطي وغيرهم، وإليك بعضا من أقوالهم عن هذا العلم:
 قال الرازي: "علم المناسبات علم عظيم، أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"⁽⁴⁹⁾.

46 () إبراهيم بن موسى محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، حافظ، ثقة، محدث، أصولي، مفسر، من أئمة فقهاء المالكية، ت (790هـ). انظر: معجم المفسرين (23/1) و نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد الفقيه بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني أبو العباس، ت 1036 هـ، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2ط، (2000م)، (17/48)

47 () انظر: الموافقات للشاطبي، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار ابن عفان ط1، (1447هـ/ 1997م)، (280 -277/4)

48 () انظر: فتح القدير للشوكاني، 38/4، عند تفسير الآية (35) من سورة النور.

49 () انظر: تفسير الرازي (110/10)

وقال الإمام البقاعي: "علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير، نسبة علم البيان من النحو" (50)

قال السيوطي: "وعلم المناسبات علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته" (51).
القول المختار: هو القول بالجواز لقوة أدلته، ولأنه قول الجمهور من العلماء، شريطة عدم التكلف في استخراج المناسبة.

المطلب الثامن: أنواع المناسبات.

إن الترابط والتناسب كما هو حاصل بين آيات القرآن الكريم في السورة الواحدة، حاصل بين سور القرآن، فأنت لا تقرأ سورة من سور القرآن بامعان، إلا وتجدها بينها وبين سابقتها مناسبة ورابطة، تظهر سر الإعجاز في ترتيب سورته، وعلى ذلك يمكن القول: إن المناسبات تتنوع إلى نوعين رئيسيين هما:

1. مناسبات خارجية و 2. مناسبات داخلية

أولاً: المناسبات الخارجية وتكون:

1. بين السورة وختام التي قبلها:

أ. المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها، كما فعل البقاعي في الربط بين أول سورة هود، وآخر سورة يونس بقوله: "لما ختمت السورة التي قبلها - كما ترى - بالحث على اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز

50 () انظر: نظم الدرر (1/ 16-15)

51 () انظر: الإتيان، السيوطي (3/ 367)

الخير اعتماداً على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال، ابتدأت هذه بوصفه بما يرغب فيه فقال بعد الإشارة إلى إعادة القرع بالتحدي على ما في البقرة: "كتاب" (52).

ب. المناسبة بين آخر السورة وأول ما قبلها، كما فعل الألوسي في الربط بين

سورتي آل

ثانياً: المناسبات الداخلية وتشمل:

أ. المناسبة بين المقاطع داخل السورة الواحدة، كما فعل المراغي عند قوله- تعالى:- ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ... وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (53) فقد ربط بين هذا المقطع والمقطع السابق عليه وهو قوله: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا... تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ (54) فقال: " بعد أن بين سبحانه حال الأشقياء ومآل أمرهم وما يلاقونه من الشدائد والأهوال في نار جهنم التي لا يجدون عنها محيصاً، وذكر أحوال السعداء وما ينالون من فوز عند ربهم ضرب لذلك مثلاً يبين حال الفريقين ويوضح الفرق بين الفئتين، وبه ألبس المعنويات لباس الحسيات، ليكون أوقع في النفس وأتم لدى العقل" (55).

المطلب التاسع: أهم المؤلفات في علم المناسبات.

تناول علم المناسبات ثلة من العلماء قديماً وحديثاً من حيث التقعيد والتطبيق، فمنهم من تناوله في كتب علوم القرآن تقعيدياً، ومنهم من تناوله في كتب التفسير تطبيقاً، ومنهم من أفرد له تأليفاً مستقلاً، وفيما يلي أهم المؤلفات في هذا العلم:
أولاً: كتب علوم القرآن، من هذه الكتب:

52 () انظر: نظم الدرر (9/ 225)

53 () سورة إبراهيم، الآيات (24: 27)

54 () سورة إبراهيم، الآيات (21: 23)

55 () انظر: تفسير المراغي (13/ 147)

- 1- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي، ت 794 هـ، وقد تناوله تحت النوع الثاني من كتابه بعنوان: "معرفة المناسبات بين الآيات" (56).
- 2- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ت 911 هـ، وقد تناوله تحت النوع الثاني والستين من كتابه بعنوان: "مناسبة الآيات والسور" (57).
- 3- أسرار ترتيب القرآن للسيوطي، وقد تناول فيه وجه المناسبة بين سور القرآن كله (58).
- 4- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني، ت 1367 هـ، وقد تناول فيه الحديث عن المناسبات من خلال رده على الشبهات المثارة ضد القرآن (59).
- 5- دراسات في علوم القرآن، لفهد الرومي، وقد تحدث عنه في كتابه من خلال الكلام على ترتيب سور القرآن وآياته (60).

ثانيا: كتب التفسير

- 1- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ت 606 هـ
- 2- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ت 745 هـ
- 3- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ت 885 هـ
- 4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، ت 982 هـ
- 5- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ت 1270 هـ
- 6- تفسير القرآن الحكيم، الشهير (بالمناج) محمد رشيد رضا، ت 1354 هـ
- 7- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، ت 1371 هـ

56 () انظر: البرهان، للزركشي (35/1).

57 () انظر: الإتقان، للسيوطي (369/3).

58 () انظر: أسرار ترتيب القرآن، السيوطي، (108).

59 () انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، مطبعة عيسى الحلبي، ط3، (دت)، (1/80-79)

60 () انظر: دراسات في علوم القرآن، د/ فهد الرومي، ط12- 1244/2003، ص (104).

8- التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، ت 1393 هـ

ثالثاً: مؤلفات مستقلة في المناسبات

1- مصابيح الدرر في تناسب الآيات والسور، عادل محمد أبو العلا

2- إمعان النظر في نظام الآيات والسور، محمد عناية الله سبحانه.

3- علم المناسبات بين المانعين والمجيزين، إبراهيم الهويل

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلوة وسلاماً علي أشرف المرسلين، وعلي آله وصحبه أجمعين،
وبعد

فقد انتهيت بفضل الله تعالي من هذا البحث، وكان من نتائجه

1- علم المناسبات علم بلاغي يظهر عظمة القرآن

2- المناسبة تكون بين الآية وأختها وبين السورة وأختها

3- المناسبات معروفة عند العرب قديم

المصادر والمراجع

القرآن الكريم - جل من أنزله:-

1-الإبانة في اللغة العربية، سلمة بن مسلم العتي، تحقيق: عبد الكريم خليفة وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط1، (1420هـ/1999م)

2-الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي علي بن عبد الكافي السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق:

جماعة من العلماء، ط1 (1404هـ)

3-اتجاهات المفسرين في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، إدارت البحوث

العلمية والإفتاء، السعودية، (1407-1986)

4-الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ت911 هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1394هـ/1974م)

5-إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، (د ط)، (د ت)

6-إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - الألباني، 1420 هـ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت - ط2 - (1985/1405)

7. الأساس في التفسير، سعيد حوى، ت1409 هـ، دار السلام، القاهرة، ط6،

1424

8-أساليب بلاغية، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي
الرفاعي، وكالة

المطبوعات، الكويت، ط1، (1980)

9-استخراج الجدل من القرآن الكريم، عبد الرحمن بن نجم بن عبد
الوهاب الجزري السعدي العبادي أبو الفرج، ناصح الدين ابن
الحنبلي، ت634 هـ تحقيق: زاهر عواض الألمي، مطابع الفرزدق
التجارية، ط2، (1401هـ)

10-أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير، ت630 هـ،
تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط1، 1994/1415

11-أسرار التكرار في القرآن، المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن
لما

فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة الكرمانى، (تاج القراء) ت505 هـ،
تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دارالفضيلة (د.ط)، (د.ت)

12. أسرار ترتيب القرآن، السيوطي، دارالفضيلة للنشر، (د.ط)، (د.ت)

13. أسئلة بيانية في القرآن، فاضل صالح السامرائي، مكتبة الصحابة،